

افتتاحية النزاعات والتفكك والموجة القادمة من التطرف: هل نحن جاهزون؟

المصطفى الرزازي*

يتميز المشهد السياسي والأمني العالمي بصراعات مستمرة ومتكررة، مع تحالفات غير مستقرة ومتغيرة، وزيادة في التنافس بين القوى الكبرى عبر مناطق متعددة، من الشرق الأوسط إلى أوروبا الشرقية، وآسيا الباسيفيك، وجنوب آسيا، والساحل الأفريقي، وأمريكا اللاتينية.

ضمن هذا السياق، لم تعد الأزمات تتكشف في عزلة أو بشكل سريع وبياني، بل أصبحت مترابطة و متداخلة بشكل متزايد، مولدة آثاراً متسلسلة عابرة للأقاليم، وغير منضبطة بما تعارفنا عليه من معايير مشتركة للتدبير العالمي للأزمات، سواء تعلق الأمر بميثاق الأمم المتحدة أو القانون الدولي أو بالنظم القيمية المعيارية للعمل متعدد الأطراف داخل المنظومة الدولية، وكان لذلك أثر في تهافت المعايير أو هو يندر بذلك.

ينما تركز التحليلات الاستراتيجية غالباً على موازين القوى العسكرية ومسارات التفاوض الدبلوماسي، يظل أحد أكثر النتائج تأثيراً - وأقلها تناولاً - يتمثل في غياب المعنى مقابل حركية مرتفعة لإعادة توليد التطرف العنيف وتحوله.

* د. المصطفى الرزازي، مدير مجلة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لدراسة العنف والتطرف ورئيس المرصد المغربي حول التطرف والعنف.

أظهرت الخبرة التاريخية خلال العقود الخمس الأخيرة أن بيئات الصراع الممتد لا تُنتج الدمار فحسب، بل تُؤدُّ أيضاً تعبئة إيديولوجية. وتُبين الأزمات التي عايشتها دول مثل أفغانستان والعراق وسوريا كيف يمكن لحالات عدم الاستقرار، وفراغات الحكم، وتراكم المظالم أن تُنتج دورات جديدة من التطرف. غير أن الموجة الناشئة اليوم تبدو أكثر تعقيداً -لكونها أقل مركزية، وأكثر قدرة على التكيف، ومتجذرة بصورة متزايدة في التحولات التكنولوجية والاجتماعية- الثقافية.

تتمثل إحدى السمات الرئيسية لهذه المرحلة الجديدة في تنوع المرجعيات الإيديولوجية. فلم يعد التطرف منظماً حول سردية واحدة أو محور عقائدي محدد، بل أصبح يتشكل عبر خطوط انقسام متقاطعة تشمل الاختلافات القائمة داخل أنساق إسلامية وأخرى مسيحية، ويهودية، أو ضمن ألوان سياسية للشوفينية الوطنية، أو ضمن سياقنا الأكثر جدة داخل التوترات السنية-الشيعية، والتعبئات القائمة على الهوية، والمظالم القومية، وأشكال التضامن الإيديولوجي العابر للحدود.

وتتيح هذه الديناميات المتداخلة للفاعلين المتطرفين إعادة صياغة خطابهم، بحيث يتكيفون مع السياقات المحلية مع الحفاظ على ارتباطهم بسرديات عالمية أوسع.

تُستعير النزاعات الراهنة أحياناً كثيرة صوراً وكشيهات من الذاكرة التاريخية العميقة ورموز تنافسية متجذرة، غالباً ما تُوظف لتأطير السرديات المتوترة ضمن أبعاد حضارية أو طائفية، أو يتم توظيفها لأغراض التجنيد والتعبئة. وفي عصر الترابط الرقمي المكثف، تتضخم هذه الخطابات عبر المنصات الإلكترونية، مما يسرع عمليات تشكّل الهوية والتطرف، ويجعل من الفضاء الافتراضي ساحة مركزية يتطور فيها التطرف وينتشر ويتطبع تدريجياً داخل المجال الاجتماعي اليومي.

هل نحن جاهزون لهذه الموجة الجديدة؟

على الرغم من التقدم المحرز في مجال مكافحة الإرهاب و التطرف العنيف خلال العقدين الماضيين، لا تزال العديد من الاستراتيجيات تتسم بطابع انفعالي أكثر من كونها استباقية. كما لا يزال الترابط المتطور بين الصراعات الجيوسياسية، والنظم الرقمية، وتفكك الهويات غير مدمج بشكل كافٍ في السياسات العمومية. علاوة على ذلك، غالباً ما تعطي التدخلات الحالية الأولوية لمكاسب أمنية قصيرة المدى دون احتساب كافٍ لآثارها الاجتماعية والسياسية بعيدة المدى، مما قد يؤدي إلى إعادة إنتاج الظروف التي تغذي التطرف.

في هذا السياق، يقدم العدد الحالي من مجلة MENAVEX مساهمة متعددة التخصصات تهدف إلى تفكيك هذه الديناميات المعقدة.

يستهل العدد بدراسة حول مواجهة مسارات التطرف في عصر التنشئة الرقمية والتعليم الافتراضي، حيث تحلل كيفية إعادة تشكيل البيئات الرقمية لعمليات بناء الهوية والتنشئة الاجتماعية، وما تخلقه من هشاشات وفرص في \$أن واحد للوقاية من التطرف. يليه مقال حول تطلعات الجيل «زد» بين الحداثة الهجينة والقيم الدينية المحافظة، والذي يستكشف التوترات الهوية التي تشكل مسارات الشباب في سياق اجتماعي-ثقافي سريع التحول.

ويقدم مقال «العوامل السوسيواسياسية المغذية للتطرف العنيف في شمال إفريقيا: مقارنة تحليلية متعددة الأبعاد» إطاراً مفصلاً لفهم الجذور العميقة للتطرف، مع إبراز التفاعلات بين إشكالات الحوكمة والتهميش والسرديات الأيديولوجية. وبالاستناد إلى هذا المنظور، يبرز مقال «الهشاشة الاقتصادية والتطرف العنيف في المغرب» أهمية الهشاشة الاجتماعية-الاقتصادية بوصفها عاملاً رئيسياً في مسارات التطرف.

كما يتناول العدد أيضًا موضوع الأمن النووي وتحولاته وتحدياته في النظام الدولي المعاصر، مسلطًا الضوء على المخاطر الناشئة عند تقاطع التقدم التكنولوجي مع حالة عدم الاستقرار العالمي. كما يقدم العدد زوايا تحليلية إضافية، من بينها دراسة حول الاتصال في سياقات الهجمات الإرهابية من خلال حالة هجوم إميل، والتي تبحث في دور الاتصال في إدارة الأزمات وتعزيز الصمود المجتمعي. يليه مقال حول تحديات فك الارتباط لدى المتطرفين السابقين عبر حالة العائدين المغاربة من سوريا، حيث تُحلل تعقيدات إعادة الإدماج والتحول الفكري.

ويختتم العدد بمراجعة لكتاب «الدليل الشامل للإرهاب في إفريقيا»، مؤكّدًا أهمية البحوث الميدانية المحلية في تطوير فهم أدق للتطرف عبر القارة.

تعكس هذه المساهمات مجتمعة الطبيعة المتحولة والمتعددة الأبعاد للتطرف في عالم يتسم باستمرار الصراعات. فالتطرف اليوم لم يعد مجرد نتيجة لعدم الاستقرار، بل أصبح متجذرًا في بنيات التفكك والرقمنة وسياسات الهوية. ويتمثل التحدي المركزي، بالتالي، في عدم مواجهة التطرف فحسب، بل في استباق تحولاته. ويستلزم ذلك الانتقال من المقاربات المجزأة والتفاعلية إلى استراتيجيات متكاملة تجمع بين الأمن والحكم الرشيد والتنمية الاجتماعية-الاقتصادية والفهم الثقافي.

ومع استمرار الصراعات في التشكل، يبقى السؤال الحاسم مطروحًا: هل نحن مستعدون للموجة القادمة من التطرف، أم أننا نشهد مرة أخرى تراكم المخاطر دون حساب دقيق لعواقبها بعيدة المدى؟